الكتاب السنوي لمركز ابحاث الطفولة والامومة/ جامعة ديالى ، المجلد الحادي عشر ، عدد خاص ص ص 199-202 ، 3 نيسان 2017 ISSN 1998- 6424

دور التربية الفنية في حياة طفل التوحد

ورقة بحثية
م.د حذام خليل حميد
مركز ابحاث الطفولة والامومة / جامعة ديالى

ان مرحلة الطفولة من اهم المراحل التي يمر بها الفرد في حياته نظرا لما يكون لديه في هذه المرحلة من قابليه شديدة للتاثر بما يحيط به من عوامل مختلفة توثر على نموه بشكل عام كما تؤثر على مالدية من خصائص ومواهب وقدرات بشكل خاص مما يكون له ابعد الاثر في تكوين شخصيته المستقبلية ،ونظرا لاهمية هذه المرحلة اكد عليها التربويين بان لابد من توفير بيئة ملائمة وسوية للطفل والتي تساهم في تنشيط قدراتهم وتحفيزهم .

ان التربية الفنية المواد الدراسية المهمة ولاسيما الرسم حيث يعد احدى وسائل التعبير، بل يعد وسيلة الإنسان الأولى التي عبر من خلالها بخطوط مرئية عن بعض تفاصيل حياته. والتي ظهرت بصيغة رموز وصور على جدران الكهوف التي يسكنها لها دلالات أو معان عبرت عن انفعالاته واهتماماته وحالاته النفسية الداخلية، ومع ان وسائل الرسم وطرائق التعبير عنه قد تعددت وتنوعت عبر آلاف السنين إلا إن ميزة التفرد الرئيسية للرسم ظلت وستبقى تمثل حاجة نفسية يلجأ إليها الإنسان بوصفها الأقرب وضوحاً إلى نفسه والأعمق أثرا في وجدانه.

بهذا يكون الرسم اداة مناسبة للحوار وتحقيق التواصل مع الاخرين على حد سواء وحتى أولئك الذين لا يجيدون الرسم. فالرموز التي ينتجها الطفل باستخدام القلم أو الطباشير تعد تعبيراً عما يشعر به، لذا أوصى بعض علماء النفس باستخدام الرسم مع الاطفال المتأخرين دراسياً الذين يعانون سوء التوافق الاجتماعي والانفعالي ومن لديهم مشكلات سلوكية للوقوف على هذه المشكلات وحلها، اضافة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة الذين هم بحاجة اكبر

للتعبير الفني من الاطفال الاعتياديين إذ أن السماح لطفل الاحتياجات الخاصة بممارسته الفن هو السماح له بأن يكون عضواً مؤثراً في بيئته المحيطة به، لاسيما الطفل الذي يجد صعوبة في خلق الصلة بينه وبين الاخرين، ويعاني من الوحدة والانغلاق على مشكلاته دون البوح بها.

حيث يعبر الأطفال العاديين في رسوماتهم أحياناُ عن أشكال اللعب فيختار كل منهم الشكل الذي يروقه و ينبعث ذلك من الطفل ليرضي حاجاته في وقت معين أو لمواجهة بعض المواقف الخاصة أحياناُ أخرى .

و هو نشاط يحتاجه الطفل لتنمية قدراته الذهنية و تطوير أفكاره و إثراء خياله و إثراء معرفته. فالتعبير الفني للطفل العادي يشبه اللعب الإيهامي الذي يُعبر فيه الطفل عن الأشياء المحيطة به و هي في الغالب أشياء ملموسة – ذات طابع واقعي – يحدثها وفقاً لصورة ينقلها له خياله الشخصي الذي هو وحده وليد انفعالاته الذاتية .

ظهرت أهمية العلاج بالفنون في تنمية عملية التواصل لدى الأطفال الذين يعانون من تأخر في النمو أو اضطرابات في مهارات الاتصال مثل أطفال التوحد وغيرهم من الإعاقات حيث يعتبر الفن لغة تواصل تسمح للأفراد سواء كانوا أطفالا عاديين أو ذوى الاحتياجات الخاصة فرصة للتعبير عما بداخلهم والاتصال بالآخرين ومن هنا تكمن أهمية العلاج بالفنون على أنه وسيلة تساعد على تطوير وعلاج المشكلات الاتصالية لدى الأفراد .

يستغل أطفال التوحد هذا التعبير كأسلوب بديل للغة و التواصل اللغوي , فهذه الرسوم التي تنبثق عن أذهان الأطفال التوحديين و التي تُعبر عن أحاسيسهم و مشاعرهم و تخيلاتهم قد لا يفهمونها و كذلك التطورات التي تُصاحب تطورهم البيولوجي و الفسيولوجي . و يجب على الأسرة و المدرسة أن تعرف أن لهذه الرسوم لغة تفوق في أهميتها و دلالاتها معنى المُفردات اللغوية اللفظية التي يعجز الطفل عادة عن التعبير عنها.

إن رسوم التوحديين و أعمالهم الفنية تُعتبر مصدراً هاماً للبحث السيكولوجي في إطار العلاج و هي الأداة التي يمكن على ضوئها أن نحدد لهم فهم الأمور الحياتية مثل معنى الدور و كيف يتصرف وقت العمل أثناء أخذ فرصته أو كيف يتحرك و يتصرف أثناء اللعبة عندما يحين دوره في اللعبة , و فهم و إدراك أن لك وقتاً , و لي وقت , و أن لك فرصة الرسم و لي فرصة الرسم.

يعمل الفن على تحديد علاقة تواصلية بين الفرد والنشاط الفني الذي يهتم به الطفل وبالتالي يتنمى نطاق التواصل بالبيئة المحيطة سواء بالأشياء أو الأفراد في البيئة نفسها. لذلك تعتبر الأنشطة الفنية من أهم الأنشطة التي تقدم لأطفال التوحد ذلك لأنها تساعدهم في تنمية إدراكهم الحسي (اللمسي) والبصري عن طريق الإحساس باللون والخط والمسافة والبعد والحجم والإدراك باللمس عن طريق ملامسة السطوح. لذلك يعتبر العلاج بالفنون من الوسائل الناجحة في علاج الاضطرابات المختلفة التي يعاني منها الكثير من الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة ومنهم الأطفال التوحديين حيث أنها جزء اساسي من برامج تنمية المهارات التواصلية والاجتماعية للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة .

هناك عدة أساسيات للعلاج بالفنون يجب أن تتوافر لكى يحقق العلاج أهدافه ومن هذه الأساسيات المواد والمكان وتنظيم عملية العلاج وتحديد وقت لجلسة الفنون ، أما عن الزمن فيجب تحديده بناء على حالة كل طفل وحسب طريقة العلاج فرديا أو جماعيا. أما عن الأنشطة الفنية فهي تلك الأنشطة الفعلية في جلسة الفنون والتي يطلب من الطفل القيام بها وهناك أنشطة فنية حرة يترك له الخيار فيها وأما عن المواد المستخدمة فأهمها ألوان الباستيل/ المائية ، أقلام الفلوماستر، فرش الألوان ، عجينة الصلصال ،الورق ،المقصات ، وأشكال (نماذج فنية) ،الصمغ .

ان طبيعة العلاج إذا كان فرديا أو جماعيا وحسب هدف العلاج وحسب مهارات الطفل والبرنامج الذي يتم تطبيقه عليه إذ أن من الممكن للرسم أن يؤدي دورا موازيا للمواد الأخرى

التـي تقـدم لهـم فمـن خـلال الرسـم يمكـن أن يكتسـب الطفـل التوحـدي مهـارات فنيـة، ولغويـة وإدراكية، واجتماعية بطرق أكثر بساطة وأكثر قربا من عالم الطفل التوحدي.

ن للفـن تـأثير ايجـابي فـي تعلـيم التفكيـر وبنـاء التعبيـر العـاطفي ويحسـن الـذاكرة، ويقـوم الـدماغ بإعـادة تنظـيم نفسـه بتشـابكات أو روابـط أكثـر واقـوى، وقـد عـد البـاحثون الفـن علاجـاً للدماغ التالف، وهناك من يقول أن الفن يثير وعي الجسم والإبداع والإحساس بالذات .

أهميـة العـلاج بالرسـم لـذوي اضـطراب التوحـد انـه يسـاعد علـى إطـلاق الشـعور التعبيـري والانفعـالي لـدى الطفـل مـن خـلال تطـور التفاعـل الإنسـاني بينـه وبـين العمـل الفنـي والمعـالج، كمـا يعمـل علـى تنميـة وعـي الطفـل بنفسـه ويجعلـه قـادراً علـى إخـراج عمـل جميـل ومميـز، ويسـاعد علـى تنميـة إحسـاس الطفـل بنفسـه حتـى ينمـو إحساسـه بالبيئـة مـن حولـه، ويُثـري الأسـلوب النمطـي الروتينـي الـذي يتبعـه التوحـديون فـي الرسـم ويجعـل أسـلوبهم أكثـر ليونـة فيمـا يتعلـق بالأعمـال المصنعة، ومن خلال ذلك يتعلم الطفل كثيراً من طرق التواصل مع البيئة المحيطة.